من طرق القرآن الكريم

للدكتور تمام حسان

القرآن

لا تنقضى عجائبه سواء من حيث الشكل أو المضمون ، والقرآن نص معجز سواء من حيث الشكل أو المضمون . ولقد تصدى العلماء قديما وحديثا للكشف عن ذخائر القرآن وفوائد جواهره ومعارج تفوقه فجاؤا من ذلك بالكثير ولكنهم تركوا من ذلك أكثر من الكثير ينتظر من الغواصين طول الأنفاس ومن الكشافين قوة الأضواء ومن الباحثين نفوذ البصيرة . ولم يعد البحث عن دور الكتاب الكريم وقفا على العرب ولا على المسلمين فلقد نرى فى أيامنا هذه ونسمع المنصفين من الغربيين يكشفون عن صدق المضمون القرآنى فى أمور تعتبر من دقائق العلم الحديث وآخر من تصدى لذلك منهم الباحث الفرنسى وريس بوكاى الذى أشاد بما راعه من التطابق بين مضمون النص القرآنى وبين الثابت من حقائق العلم الحديث سواء فى علم الأجنة أو فى الفلك أو فى غيرهما من العلوم .

وأما من حيث الشكل فقد علمنا أن القرآن تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله وأن يدعوا من استطاعوا من دون الله فلم تستطع روائع الخطباء ولا سجع الكهان ولا شياطين الشعر أن تدنو من القرآن لا بسبب الصرفة كما زعم بعض المعتزلة (فنحن نعلم أن بعض الناس حاول أن يأتى بمثل القرآن) ولكن بسبب امتناع النص القرآنى نفسه على من يحاول محاكاة وتقليدا . ولقد نشأت العلوم اللغوية فى التراث العربى فى رحاب القرآن وللاعانة على حسن فهمه ولكنها بنت ملاحظاتها على كلام العرب ولم تجر استقراءها على القرآن نفسه ، فلما اكتملت فى أيدى العلماء حقائق تلك العلوم وقواعدها عرضوها على النص القرآنى فانسجمت مع بعضه وقصرت دون بلوغ البعض الآخر وظل القرآن فوق النحو وفوق البلاغة وفوق غيرهما من علوم العربية وإن أعانت هذه العلوم على فهمه . ظل القرآن فوق هذه العلوم يتحدى قواعدها وحقائقها كما تحدى الفصحاء من مقاويل العرب من قبل فأصبح التحدى القرآنى منتصرا فى مجالى النظرية والتطبيق على سواء .

ومن المعروف أن السياق اللغوى يعتمد فى فهمه على الخضوع لأنماط تركيبية معنية

ومن هنا جاءت الكلم أنوعا لكل منها موقع خاص فى الكلام ولكل موقع إعراب يناسبه ولكل كلمة اختصاص بما يدخل عليها أو امتناع على ما يتنافى معها ولا بد لأجزاء الجملة من روابط تربط بعضها ببعض وهلم جرا .

فلا يجوز أن تأتى الكلم متجاورة كيفما لها التجاوز فيقال مثلا (على جلس الكرسى الرجل) إذ لا بد من اخضاع توالى الكلمات لشروط النمط التركيبى فيقال : «جلس الرجل على الكرسى » . والمعروف أن لكل لغة انسانية مجموعة من الأنماط قلت أو كثرت وترتبط الافادة بهذه الأنماط فإذا عرفنا أن نمط الجملة هو « الوضع» الذى تكون عليه من حيث الشروط النحوية التركيبية المتقدم ذكرها أدركنا ما يقصده النحاة من قولهم : « الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع » أى المفيد بحكم النمط المحدد نحوياً .

والقرآن فوق هذه الأنماط يعلو عليها ويتحداها ويصل إلى المعنى فيبلغ غاية الإفادة ولو بدون «الوضع» ولأمر ما قال القراء : « القراءة سنة متبعة » وقصدوا بذلك أنها لا يجوز إخضاعها « للوضع» النحوى بما يشتمل عليه من قواعد وقيود وشروط . ولعل هذا يعد جانبا هاما من جوانب الإعجاز القرآنى أفاض القدماء فى شرحه ولكنهم لم يهتدوا إلى عدّه فى وجوه الاعجاز . وسنحاول فيما يلى أن نلقى بنصيبنا من الضوء على بعض الطرق التى انفرد بها القرآن فى صياغة الجملة العربية دون التزام منه « بالوضع » النمطى الذى اشترطه النحاة للوصول إلى الإفادة ، كما نحاول كذلك أن نأتى بظواهر أسلوبية معينة تتجاوز العلاقات النحوية إلى الوسائل البلاغية وأرجو أن نتمكن عند النظر فى هذه الطرق وتلك الظواهر من رؤية كيفية امتياز الشكل القرآنى بميزاته الخاصة وسيكون كلامنا عن البنية والتركيب والأسلوب

أولا ـ البنية :

الكلمة العربية من حيث بنيتها قسمان : تركيبية ومعجمية . فأما التركيبية فإنها تتناقض مع التعريف الذى وصفه النحاة للكلمة اذ قالوا «الكلمة ماد ل على معنى مفرد » ولأن الكلمة التركيبية ـ كما يدل اسمها ـ لا معنى لها إلا فى السياق . فإذا دلّت « فى » على الظرفية فقد عبرت عن علاقة بين كلمتين فى السياق إحداهما ظرف والأخرى مظروف . وإذا عبرت الواو عن العطف فمعناها هو العلاقة بين المعطوف عليه والمعطوف ، ومعنى « الا» علاقة بين المستثنى منه والمستثنى ومعنى « إن » الشرطية علاقة ما بين الشرط والجواب ومن الكلمات التركيبية الحروف والضمائر والموصولات والإشارات وجوامد الظروف الخ ، وواضح أن هذه المعانى هى وظائف وليست من قبيل المعانى المفردة . لأن المعانى المفردة هى معانى الكلمة المعجمية إذ يدل لفظ « قلم » مثلا على شىء مادى وليس على وظيفة نحوية . وللقرآن طريقة خاصة فى التصرف فى بنية هذين

النوعين من الكلمات إما بالقلب أو التعديل أو الزيادة أو الحذف أو الفصل أو إهدار الاختصاص ونحو ذلك . وفيما يلى شواهد على هذه الطريقة :

(أ) القلب :

قال تعالى : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم» والمعروف أن قواعد النحو تضع الضمير بين « ها » التنبيه واسم الإشارة فتقول : هأنذا وها أنت ذا وهأنتم أولاء . وفى نص القرآن ذاته « هأنتم أولاء تحبونهم » وكذلك « هأنتم أولاء جادلتم فيما لكم به علم » ولكن التركيب الأول حدث فيه قلب للرتبة فتقدم الضمير على « ها» التنبيه فلصقت«ها» باسم الإشارة أولاء .

(ب) التعـديل :

قد يعمد القرآن إلى تعديل صورة الكلمة فيضع بكه فى مكان مكة وميكال بدل ميكائيل وسينين لسيناء والياسين لإلياس وكبار لكبير وعجاب لعجيب ويهدى ليهتدى ويخصمون ليختصمون وكذاب — لتكذيب وهلم جرا . وقد يكون بعض ذلك لمراعاة الفاصلة ولكن بعضه الآخر لا تفسير له إلا أن القرآن فوق اللغة .

ثانيا — التركيب :

وفيه الزيادة والحذف والفصل والاختصاص ونحوها :

فحوى القول بالزيادة أن النحويين حين حددوا معالم « الوضع » (أى النمط) حددوه على أساس عناصر معينة ليس منها هذا الذى يعرف بأنه « زائد » وبذلك يصبح معنى لفظ « زائد » أنه هذا ليس من جملة العناصر التى يشتمل عليها «الوضع» الذى ربط النحويون به الإفادة . ولكن البلاغيين يجعلون لهذا الزائد « وظيفة » تقوية المعنى إذ يقولون : « زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى » . فالزائد عند النحويين مؤكد عند البلاغين أى أن « ما زيد بقائم » هى أؤكد من « ما زيد قائم » ولقد حصر النحويون وعرف البلاغيون مواطن الزيادة وحددوا أماكنها وشروطها حتى كادوا يخلقون لها أنماطا فرعية . ولكن القرآن فوق كل ذلك إذ يجعل لنفسه حرية التصرف فى الزيادة على نحو لا يعترف بأنماط النحويين وحدودهم . ولك أن تتأمل طرق الزيادة فيما يلى :

١ — « فبما رحمة من الله لنت لهم » .

٢ — « فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم » .

٣ — « أتتركون فيما هاهنا آمنين » .

وفى هذه الشواهد الثلاثة زيادة « ما » بعد حرف الجر بينه وبين مجروره وهى طريقة قرآنية . وربما كانت الزيادة فى الشاهد الثالث مشتملة على حرف الجر بالإضافة إلى « ما » .

٤ — « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة » .

٥ ــ « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرَور وما يستوى الأحياء ولا الأموات » .

٦ ــ « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » .

ومن الواضح أن الزائد فى هذه الشواهد لفظ « لا » الذى قبل السيئة والنور والحرور والأموات ، وأقسم ، وهذه زيادة لم توضع لها أنماط نحوية ولكن القرآن فوق النحو لأنه سنة متبعة .

٧ ــ « وكذلك نُرِى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين »

٨ ــ « وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين » .

٩ ــ « وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها » ..

١٠ ــ « وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست » .

وزيادة الواو واضحة قبل لام التعليل فى كل هذه الشواهد وليس هذا الموضع مما عده النحاة من مواضع الزيادة ولكن القرآن له طرقه التى لم يتسع لها النحو .

(ا) زيادة الضمير :

١١ ــ « وأسروا النجوى الذين ظلموا » .

١٢ ــ « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون »

١٣ ــ « أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم بالآخرة هم الأخسرون » .

وقد نسب النحاة أشباه الشاهد الأول إلى لغة بعض القبائل (فقعس وديبر) ولكن الواضح أن الواو هنا زائدة وكذلك أحد الضميرين فى كل من الشاهدين الآخرين ولا تبويب لذلك فى النحو .

(ب) حذف الحرف :

وفحوى القول بالحذف أن عنصراً من عناصر التركيب وجب ذكره بحسب « الوضع » أو القيد أو القاعدة ولكنه لم يذكر فى الاستعمال ومن ثم قيل إنه محذوف وشرط حذفه وجود ما يدل عليه ، لأن القاعدة المنهجية العامة تقول : « لا حذف إلا بدليل » ، ولأن الحذف بلا دليل يؤدى إلى اللبس . وهناك حروف أوجب النحو العربى ذكرها فى مواضعها منها :

(١) همزة الاستفهام وقد أوجب النحو ذكرها لأن التراث العربى تراث ينتقل بالكتابة من جيل إلى جيل ، والكتابة العربية خالية من علامات الترقيم ومن ثم تخلو من رمز يدل على الاستفهام ، ولهذا جعلت الهمزة فى أول الجملة الاستفهامية فى مقام علامة الاستفهام التى توجد فى آخر الجملة المكتوبة .

(٢) الفاء الواقعة فى جواب الشرط عند مالا يصلح الجواب أن يكون شرطاً لأن معظم صور الجملة فى هذه الحالة ملبسة ، والقاعدة

المنهجية التى عبر عنها ابن مالك تقول : « وإن يشكل خفيف لبس أو يجتنب » انظر مثلا إلى جملة « من عمل صالحاً فلنفسه » وتصور حذف الفاء فسترى عندئذ أن الجار والمجرور يصلح للنعت كذلك .

(٣) « قد » قيل الماضى فى جملة الحال لمنع القياس معنى الواو التى قبل قد بالعطف فى نحو : « قال وقد رفع صوته : كيف حالك ؟ » . فحذف « قد » هنا يؤدى إلى اللبس .

(٤) حرف الجر يتكرر عند العطف على ما جر به منعاً لالتباس العطف بمعنى آخر كالقسم فى حالتى الياء والواو مثلا ، وبخاصة إذا كان المكان غير صالح لنزع الخافض .

ولكن القرآن يحذف ولا يلبس ، وهذا مما اختص به القرآن . انظر مثلا الشواهد الآتية لحذف الحرف (وسترى الحرف المحذوف مثبتاً بين قوسين فى سياق الشاهد) :

١ ــ « لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى (ف) ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك » فحذف فاء الجواب .

٢ ــ « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم (ف) قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا ...» .

أو « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم على (ف) تولوا...».

ففاء العطف محذوفه فى أحد الموضعين .

٣ ــ « قال (أ) ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين » :

٤ ــ « (أ) وتلك نعمة تمنّها علىَّ أن عبّدت بنى إسرائيل » .

٥ ــ « (أ) مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم ك (مثل) من هو خالد فى النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم » .

٦ ــ « إن ربك هو أعلم (ب) من ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

٧ ــ « قال ربى أعلم (ب) من جاء بالهدى و (ب) من هو فى ضلال مبين » .

٨ ــ « قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما (أن) لهم آلهة » .

٩ ــ « لاتركضوا وأرجعوا إلى ما أترفتم فيه و (إلى) مساكنكم » .

١٠ ــ « وآخرون مرجون لأمر الله إما (أن) يعذبهم وإما (أن) يتوب عليهم » .

١١ ــ « قالوا و (قد) أقبلوا عليهم ماذا تفقدون » .

(ج) حذف الكلمة :

والمقصود بالكلمة هنا أن تكون مبتدأ أو خبراً أو عاملا أو متعلقاً للظرف والمجرور

أو موصوف أو صفة أو غير ذلك . وكما وضعنا الحرف المحذوف بين قوسين عندما عرضنا الشواهد على حذف الحرف سنضع الكلمة المحذوفة بين قوسين فى شواهد حذف الكلمة على نحو ما يلى :

١ ــ « (سنن) سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا » .

٢ ــ « كهيعص (هذا) ذكر رحمة ربك عبده زكريا » .

٣ ــ « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وماتغيض الأرحام وما تزداد (هو) عالم الغيب والشهادة»

٤ ــ « ذلك عيسى بن مريم (أقول) قول الحق الذى فيه يمترون » .

٥ ــ « (نزلناه) تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى » .

٦ ــ« واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء (نجعلها) آية أخرى » .

٧ ــ « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب (ترى) صنع الله الذى أتقن كل شىء » .

٨ ــ « (بلدتكم) بلدة طيبة و (ربكم) رب غفور » .

٩ ــ « (تستكبرون) استكباراً فى الأرض و (تمكرون) مكر السيء » .

١٠ ــ « فمن عفى له من أخيه شيء فـ(سبيله) اتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » .

١١ ــ « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فـ (حكمه) عدة من أيام أخر » .

١٢ ــ « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فـ (فريضتهن) نصف ما فرضتم » .

١٣ ــ « كذلك يضرب الله (مثل) الحق والباطل » .

١٤ ــ « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب و (آيات) أخر متشابهات » .

١٥ ــ « فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا (غلاماً) صالحاً لنكونن من الشاكرين»

(د) خذف شطر الجملة :

وهنا أيضاً يلزم أن يكون هناك دليل للحذف ولكن القرآن يتحدى هذه القاعدة أحياناً وهو ما يزال بمنأى عن اللبس لسهولة استخراج المحذوف بالقرائن الحالية حين تعز القرائن الحالية . وفيما يلى طائفة من الجمل التى حذف شطرها نجعلها شواهد على هذه الظاهرة :

١ ــ « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين (يخدعون أنفسهم) أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً » .

٢ ــ « والذين آمنوا وعملوا الصالحات (سنخفف عنهم) لانكلف نفساً إلا وسعها » .

٣ — « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألاّ ملجأ من الله إلا إليه (غفر لهم) ثم تاب عليهم ليتوبوا » .

٤ — « إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم (لا يضروه شيئاً) وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

٥ — « أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة (ناج من العذاب) وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون » .

٦ — « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه (خير أمن قسا قلبه) فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله » .

٧ — « (أذلك الكافر) أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » .

٨ — « أو آباؤنا الأولون (مبعوثون) » .

٩ — « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم (تباينتم) منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » .

١٠ — « فإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أوسُلَّمًا فى السماء فتأتيهم بآية (فافعل) ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ».

١١ — « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون (لكان خيراً لهم) إنما الصدقات للفقراء والمساكين . . » .

١٢ — « ولولا أن تأتيهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (لأصبناهم بعذاب) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى . . . » .

١٣ — « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون (أعرضوا) وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضون » .

١٤ — « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم منهم معرة بغير علم (ما كففنا أيديكم عنهم) ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً » .

١٥ — « أئذا متنا وكنا تراباً (إننا لمبعوثون) ذلك رجع بعيد » .

١٦ — « ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم (لأصابكم بفعلكم عذاب أليم) إن الذين جاؤا بالأفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم . . .

١٧ — « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم (ما زكى منكم من أحد أبداً) يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم » .

(هـ) حذف كلام يقتضيه المعنى :

والمقصود بالكلام الذى يقتضيه المعنى كلام لا يمكن أن يتصل ما بعده بما قبله إلا بواسطة تقديره لأن مضمونه يعد تمهيداً منطقياً لما يأتى بعده بحيث لا يستغنى عنه فهم المعنى وإن استغنى عنه سياق النص . ويكثر هذا النوع من الحذف فى أسلوب القرآن فى سياق سرد الأحداث وفى القصص . ولو أننا وازنا بين المحذوف من النص وبين نظيره فى الأدب المسرحى العادى لوجدنا هذا المقابل فى المسرحية قولا أو حركة معينة أو عملا يعينه يراه المشاهد فيستغنى به عن الكلام . ولكن النص القرآنى يستغنى عن المحذوف دون الاستعانة بما ينوب عنه ومع ذلك يظل مفهوماً فهماً تاماً . ولنا أن ننظر فيما يلى :

١ — « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم و (يقولون لهم) ذوقوا عذاب الحريق ... »

٢ — « يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم (يقال لهم) هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

٣ — « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض (وتساءلوا) هل يراكم من أحد ثم انصرفوا .... » .

٤ — « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين (وعادت إلى مراودته فأبى عليها) قال رب السجن أحب إلىّ مما يدعوننى إليه... »

٥ — « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين (فأدخلوه السجن) ودخل معه السجن فتيان (رأى كل منهما فى المنام رؤيا قصها على يوسف) قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه » .

٦ — « وقال الذى نجا منهما وادّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون (إلى يوسف فأرسلوه إليه فلما أتاه قال) يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان ... » .

٧ — « ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون (وعاد الفتى إلى الملك فأخبره بما قال يوسف فعجب الملك لما سمع) وقال الملك ائتونى به (فأرسلوا إليه رسولا) فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم (فدعا الملك بهن فأحضرن أمامه) قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف . . . » .

٨ — «قال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى (فآتوه به فأقبل عليه يكلمه ويسمع منه) فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم (فأجابه الملك إلى ما طلب) وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ... » .

٩ — « ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها وإنا لصادقون (فلما رجعوا إليه وأخبروه بذلك) قال (ليس الأمر كما زعمتم) بل سولت لكم أنفسكم أمراً ... » .

١٠ — « يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (فذهبوا يتحسسون من أخويهم حتى إذا بلغوا قصر العزيز استأذنوا فأذن لهم) فلما دخلوا عليه قالوا » .

١١ — « وعرضوا على ربك صفاً (فقال لهم) لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة » .

١٢ — « فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً (ثم ولدته فنظرت فإذا هو غلام فلم يخفف ذلك من حزنها) فناداها من تحتها ألا تحزنى .

١٣ — « قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى (فأطمان قلبه وألقى بما فى يمينه وألقوا ما فى أيمانهم فابتلعت عصاه حبالهم وعصيهم) فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى » .

١٤ — « لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين (فلما حضر الهدهد دنا من سليمان) فمكث غير بعيد .... » .

١٥ — « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات (غير السموات) وبرزوا لله الواحد القهار » .

١٦ — « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (يقولان) لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدى عتيد (فقال للسائق والشهيد) ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد » ... .

(و) الفصل :

والمقصود به أحد أمرين : الفصل بين أمرين يختص أحدهما بالآخر والفصل بين الجمل المتتابعة مع إمكان وصلها بعطف أو نحوه فمن ذلك الفصل بين الموصوف وصفته وقد وضع الفاصل بين قوسين نحو :

١ — « يسبح لله (ما فى السموات وما فى الأرض) الملك القدوس العزيز الحكيم » .

٢ — « يوم يأتى أمر ربك لا ينفع نفساً (إيمانها) لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .

٣ — « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى (لتأتينكم) عالم الغيب » .

٤ — « قالت رسلهم أفى الله (شك) فاطر السموات والأرض ... » .

٥ — « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض (ومغاربها) التى باركنا فيها » ...

أو بين المعطوف والمعطوف عليه نحو :

٦ — « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين (إحساناً) وبذى القربى . . . » .

٧ — « إذ الأغلال (فى أعناقهم) والسلاسل يسحبون . . . » .

٨ — « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي حتى يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا (ولا مستأنسين لحديث) » .

أو بين الفعل ومفعوله بأجنبى نحو :

٩ — « أفلم يروا (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أنهم إليهم لا يرجعون » .

١٠ — « قال : آتونى (أفرغ عليه) قطراً » .

أوبين الأداة ومدخولها نحو :

١١ — « فلولا (إن كنتم غير مدينين) ترجعونها إن كنتم صادقين » .

(ز) الاختصاص وهو نوع من التضام النحوى :

وهذا النوع من الترخص القرآنى فى الاختصاص من أوضح الأدلة على أن القرآن أوسع من النحو وأن النحاة حين ألقوا بثقلهم على الشعر العربى فجعلوه محال استقرائهم ومعين شواهدهم إنما اعتمدوا على شكل من أشكال التعبير مكبل فى أغلال الوزن والقافية فلا بد أن يحكم الوزن على الجملة الشعرية بالإيجاز وعلى الكلمة الشعرية بقيود فنية متعددة ومن ثم لم يكن للشعر العربى ما للقرآن من الحرية فى مجال التعبير وتلك حرية لا يحد من انطلاقها قيد حتى ولو كان الفاصلة لأن الفاصلة القرآنية لا تتسم بالالتزام على نحو ما تتسم القافية الشعرية . فإذا كان ذلك كذلك فلنا أن ننظر فى الشواهد التالية لنرى مظهر الحرية والتحدى ثم البعد عن اللبس فى بناء الجملة القرآنية :

١ — المعروف أن « لو » تدخل على الفعل الماضى مباشرة أو لكونه خبراً لأن وأن جوابها إذا احتاج إلى رابط اكتفى باللام ومع ذلك نجد فى القرآن : « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق » فدخلت « لو » على الضمير واشتمل جوابها على « إذاً » .

٢ — « والمقرر فى جواب لو أن يكون فعلا ماضياً كذلك ولكننا نجد فى القرآن : « ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير » فنرى الجواب جملة اسمية .

٣ — من المعروف أيضاً أن الموصولات فيها من العموم ما يأذن لبعضها (مثل من وما) أن ينقل من الموصولية إلى معنى الشرط فيستعمل أداة للشرط وتلزم الفاء فى جوابه إذا لم يصلح هذا الجواب أن يكون شرطاً . أما ما لا يتحول إلى الشرطية فهى الموصولات فإنه إذا وقع مبتدأ فكانت له الصدارة فى الجملة اكتسبت من معنى العموم وموقع الصدارة شبهاً بمن وما اللتين انتقلتا إلى الشرطية فصح فى خبره أن يقترن بالفاء كما يقترن جواب الشرط . وقد قدم النحاة لنا من ذلك مثالا يقول : « الذى يأتينى فله درهم » ولكن القرآن إذ يشتمل على شواهد من هذا القبيل يضيف إلى هذا التركيب توسعاً آخر فى مجالين : الأول : إنه قد يجعل الموصول اسماً لأن ويبقى على الفاء فى الخبر . والثانى : أنه قد يسحب هذه الخصائص على « ال » الموصولة فيجعلها كبقية الموصولات الاسمية. ويتضح كل ذلك فيما يلى :

أولا — الفاء فى خبر الموصول المبتدا :

* « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم » .

* « والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم » .

ثانيا — الفاء فى خبر ان التى اسمها موصول:

* « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم » .

« إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق» .

ثالثا — الفاء فى خبر الوصف المقترن بال الموصولة :

* « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .

* « والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة » .

٤ — وفى النحو أن النكرة توصف بالنكرة كما توصف المعرفة بالمعرفة ولكن القرآن يتحدى قواعد النحاة فى الشواهد الآتية التى وصفت فيها النكرة بالاسم الموصول وهو معرفة :

* « ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلهاً آخر » .

* « هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب » .

* « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل . . . » .

* « ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده » .

٥ ـ عطف المتغايرين :

للعطف فى صناعة النحو شروط تأتى من الاعتراف بالمشاركة بين المتعاطفين فى الخصائص ومن هنا يعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل ثم فى نطاق الفعل يعطف الماضى على الماضى ويعطف الحاضر على الحاضر وكذلك المستقبل على المستقبل . هذا فى النحو . أما فى القرآن فقد يعطف المتخالفان ويظل المعنى مع ذلك واضحاً واللبس مأموناً وينكشف الجانب الجمالى فى هذا العطف الذى يتحدى النحو والنحاة . من ذلك :

* « إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » .

* « يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار » .

* « يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله» .

* « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » .

٦ ـ تشويش الرتبة :

ليس فى النحو ما يأذن بعكس رتبة محفوظة ولكن القرآن يبدى من الحرية فى ترتيب الكلام ما لا مثيل له فى نص عربى آخر ومع ذلك يتضح المعنى ويؤمن اللبس ويتحقق الجمال . ومن شواهد هذه الظاهرة ما يلى :

* توسط الخبر المقترن بضمير الفصل بين « لكن » واسمها فى قوله تعالى : « لكن هو الله ربى » لكن ربى هو الله .

* تقدم الحال الجملة على الفعل وصاحب الحال فى قوله تعالى : « ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه » . وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ويصنع الفلك .

* تقديم نائب المفعول المطلق على المفعول به وصفته الظرف وتقديم ذلك كله على الفاعل فى قوله تعالى :

« أئفكاً آلهة دون الله تريدون » * أتريدون آلهة دون الله إفكاً .

* تأخير « لا » المؤكدة للنفى عن موضعها من الكلام كما فى قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء . . . » وما يستوى الأعمى والبصير ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسىء .

* تقديم الخبر الجار والمجرور ثم الحال على المبتدأ صاحب الحال فى قوله تعالى :

« فله جزاء الحسنى » فالحسنى له جزاء .

هذا نموذج مما يوجد فى القرآن من الظواهر التركيبية التى يصعب إحصاؤها فى المجلدات الطوال فما بالك بعجالة مثل هذا البحث قصد بها أن تكون على سبيل الإشارة فحسب ، وليس يتسع المقام للكلام فى ظواهر أخرى كمجىء الخبر جملة إنشائية وجعل الظرف

مضافاً إليه والترخص فى المطابقات ومزج الكلمة فى غيرها وتداخل الشرط فى الشرط وكذلك الشرط فى الخبر وعدم تعليق الجار والمجرور إلى غير ذلك من الظواهر التركيبية التى تمسك عن الكلام فيها طلباً للاختصار والاقتصار .

ثالثا ـ الأسلوب :

فى تناولى لأسلوب القرآن سيكون من همى أن أكشف عن بعض طرق القرآن للوصول إلى المعنى إما بإجراء يتصل بالمعانى الوظيفية لعناصر الكلام وإما بطريقة رد القرآن على المزاعم التى يزعمها الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين حتى من بعد ما جاءتهم البينة . وسأعرض لشواهد مختصرة على هذين النوعين على الترتيب وأقتصر عليهما فقط :

١ ـ التصرف فى المعانى الوظيفية :

سأعرض هنا لوسيلة القرآن للتعبير عن التكثير والتأكيد والتفصيل والتضمين والقطع والإشارة ونحو ذلك على النحو التالى :

التكثير :

يستعمل القرآن للتكثير طرقاً تشيع فى غيره كاستعمال « كم » نحو :

* « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون » .

* « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين » .

وقد يستعمل الإبهام وسيلة من وسائل التعبير عن التكثير نحو :

* « جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب »

ولكن القرآن يستعمل وسيلة أخرى يكاد يختص بها وهى « كأين » نحو :

* « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا . . . » .

* « وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها . . . » .

* « وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم » .

التأكيد :

وما أكثر طرق التأكيد فى القرآن ولكننى سأحصر كلامى فى الطرق القرآنية التى لا تكاد تجدها فى غير القرآن وأهم ما لفت نظرى من ذلك التأكيد بالحرف ، ومن ذلك :

* الاستفتاح بفاء استئنافية لا تربط ما بعدها بشىء قبلها فى قوله تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

* التأكيد بالفاء وثم وبتكرار اللفظ جميعاً فى قوله تعالى : « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » .

التفصيل :

ويلفت النظر من ذلك أن يكون التفصيل إبدالا مما سبق كما فى قوله تعالى :

* « حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً » .

* أو أن يقع التفصيل موقع الحال كما فى قوله تعالى : « هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » .

التضمين :

وفى القرآن من هذه الظاهرة الشىء الكثير ولكننى سأختار ثلاثة شواهد يتضح بها التضمين كما يلى :

* قال تعالى : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » ومن الواضح أن حرف الجر «على» ليس مما يدخل على الفعل « استحب » ولكن الفعل هنا ضمن معنى « فضلوا » فدخل عليه حرف الجر .

*قال تعالى : « وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » والمعروف أن المفعول الثانى للفعل « اتخذ » إذا جاء وصفاً فلا بد أن يكون قد نقل إلى الاسمية كأن نقول : « اتخذت فلاناً حارساً أو صديقاً أو خليلا أو ردءاً أو وزيراً . . . إلخ » أما أن يبقى على الوصفية فهذا لا يتفق مع إرادة الإفادة . وواضح أن « مهجوراً » غير منقول إلى الاسمية لأنه لا يدل على مسمى وإنما هو وصف باق على الوصفية فلم يبق إلا أن يكون القرآن قد ضمن « اتخذوا » معنى « صيروا » أو « جعلوا » فيستقيم المعنى .

* قال تعالى : « فتبسم ضاحكاً من قولها . . . » وقد نصب لفظ « ضاحكاً » على الحال وتعلق به الجار والمجرور . ولقد كان من الممكن أن يكون المعنى « فتبسم ساخراً » من قولها على زعم أن « ضحك منه » قد تدل على « سخر منه » أو « سخر به » ولكن سليمان لم يكن يسخر من النملة وإنما كان يعجب من قولها . ولما لم يكن فى اللغة « ضحك منه » بمعنى « عجب منه » فإن هذا المعنى لا ينسب إلى الآية إلا على سبيل التضمين أى تضمين « ضاحكاً » معنى « عاجباً » .

قطع المفعول :

ومعنى ذلك أن يعمد النص إلى مفعول فيقطعه عن سياقه بتسليط غير فعله عليه كما فى قوله تعالى : « ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم » أى « ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة ورزقاً كريماً » .

تقليب الأشارة :

وسأسوق من ذلك شاهدين أحدهما يشار فيه إلى متأخر فى الكلام قبل ذكره مع العلم أن الإشارة تكون للحاضر لا للآجل . والثانى

يشتمل على إشارة معنى مستخلص لم يصرح بلفظ ، فالأول :

* قوله تعالى : « ذلك جزاء أعـــداء الله النار » .

والثانى قوله تعالى : « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » لأن المشار إليه هنا هو الصبر المستخلص من « صبر » والغفران المفهوم من « غفر » .

١٢ ــ الرد على المزاعم :

وطريقة القرآن فى الرد على مزاعم الكافرين لا تخرج عن واحدة مما يأتى :

(أ) الاعتـــذار .

(ب) التنزيه .

(ج) الدعـــاء .

(د) التعجيز .

(هـ) التكذيب .

(و) الوعيـــد .

(ز) التعليق .

(ح) الإجابة :

١ ــ بسؤال .

٢ ــ بأمر بالسؤال .

٣ ــ بجواب .

٤ ــ بأمر بالجواب .

(ط) المزج بين اثنتين أو أكثر من هذه الطرق .

وفيما يلى الاستشهاد على ذلك :

(أ) الاعتـــذار :

* « ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه
قل إنمـــا أنت منذر
ولكل قوم هاد » .

* « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بمـــا أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه
قل إنما أمرت أن أعبدالله ولاأشرك به
إليه أدعو وإليه مآب » .

(ب) التنزيـــه :

* « وقالوا اتخذ الله ولداً
سبحانه
بل له ما فى السموات والأرض
كل له قانتون » .

* « وقالوا اتخذ الله ولداً
سبحانه
بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون».

(ج) الدعاء :

* « وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت أيديهم
ولعنوا بمـــا قالوا » .

* « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر
عليهم دائرة السوء
والله سميع عليم » .

* « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون » .

(د) التعجيز :

* « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى
تلك أمانيهم
قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

* « أم يقولون افتراه
قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

* أم اتخذو من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم .
هذا ذكر من معى وذكر من قبلى
بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » .

(هـ) التكذيب :

* « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون
ألا إنهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون » .

* « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء
ألا إنهم هم السفهاء
ولكن لا يعلمون » .

* « يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد إسلامهم
وهموا بما لم ينالوا » .

* « وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء
إنهم لكاذبون » .

(و) الوعيد :

* « فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » .

* « وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء
سيجزيهم وصفهم
إنه حكيم عليم » .

* « يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم
قل استهزئوا
إن الله مخرج ما كنتم تحذرون » .

(ز) التعليق :

* « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء
فقد سألوا موسى أكبر من ذلك
فقالوا أرنا الله جهرة » .

* « وقالوا لولا أنزل عليه ملك
ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر
ثم لا ينظرون
ولوجعلناه ملكاً لجعلناه رجلا وللبسنا
عليهم ما يلبسون » .

* « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول
أيكم زادته هذه إيماناً
فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً
وهم يستبشرون
وأما الذين كفروا فزادتهم رجساً
إلى رجسهم
وماتوا وهم كافرون » .

* « وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان
خيراً ما سبقونا إليه وإذا لم يهتدوا به
فسيقولون هذا إفك قديم
ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة
وهذا كتاب مصدق
لساناً عربياً
لينذر الذين ظلموا
وبشرى للمحسنين » .

(ح) الاجابة :

١ ـ بسؤال :

* « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا
أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً
ولا يهتدون » .

* « ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً
معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه
ووفيت كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون » .

* « فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار فقال
هذا إلهكم وإله موسى فنسى
أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا
ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً » .

* « وقالوا لولا يأتنا بآية من ربه
أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى »

٢ ـ بالأمر والسؤال :

* « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة
قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف
الله عهده
أم تقولون على الله ما لا تعلمون » .

* « قل من يرزقكم من السماء والأرض
أمن يملك السمع والأبصار
ومن يخرج الحي من الميت
فسيقولون الله !
قل أفلا تتقون
فذلكم الله ربكم الحق
فماذا بعد الحق إلا الضلال
فأنى تصرفون » .

٣ ـ الجواب :

* « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث
الله من يموت
بلى !
وعداً عليه حقاً
ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

* « أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه
بلى قادرين على أن نسوى بنانه » .

٤ ـ الأمر بالجواب :

* « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى
سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر
قل نار جهنم أشد حراً
لو كانوا يعلمون » .

* « وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه
قل إن الله قادر على أن ينزل آية
ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

* « وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا
لمبعوثون خلقاً جديداً
قل كونوا حجارة أو حديداً
أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم » .

(ط) المزج بين اثنتين او اكثر من هذه الطرق :

* « ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت
أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا
رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما
جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل
ما أوتى موسى
أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل
وقالوا سحران تظاهرا وإنا بكل كافرون
قل فأتوا بكتاب من عند الله هو
أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين
فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون
أهواءهم
ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله
إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

* « وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من
أرضنا
أولم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه
ثمرات كل شىء رزقاً من لدنا
ولكن أكثرهم لا يعلمون
وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها
فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم
إلا قليلا وكنا نحن الوارثين
وما كان ربك ليهلك القرى حتى
يبعث فى أهلها رسولا يتلو عليهم
آياتنا
وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها
ظالمون » .

* « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم
نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما
جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً
استكباراً فى الأرض ومكر السىء
ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله
فهل ينظرون إلا سنة الأولين
ولن تجد لسنة الله تبديلا
ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

* « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم
أهم يقسمون رحمة ربك

نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً
ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

« إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنّها مصبحين ولا يستثنون
أفنجعل المسلمين كالمجرمين
ما لكم
كيف تحكمون
أم لكم كتاب فيه تدرسون إن لكم فيه لما تخيرون
سلهم أيهم بذلك زعيم
أم لهم شركاء
فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين
فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وأملى لهم
إن كيدى متين
أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون
أم عندهم الغيب فهم يكتبون
فاصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم » .

« وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله
قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى
إن أتبع إلا ما يوحى إلى
إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به
فقد لبثت فيكم عمراً من قبل
أفلا تعقلون » .

« بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون
ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها
أفهم يؤمنون
وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم
فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام
وما كانوا خالدين
ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء
وأهلكنا المسرفين
لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم
أفلا تعقلون » .

هذا بعض من طرق القرآن فى التعبير الحر وفى التحدى المعجز ظهر بها أن القرآن نص عربى ولكنه يهيمن على اللغة ولا تهيمن عليه اللغة ويتسع للنحو ولا يتسع له النحو أفلا يجب بعد هذا أن نعترف بصحة قول من قال : « القرآن لا تنقضى عجائبه » ؟

تمام حسان
عضو المجمع